مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 02 السنة 2023 ص 121 - 139

تاريخ الإرسال: 2022/06/14 تاريخ القبول: 2023/01/17
تاريخ النشر : 2023/06/03

دور المرأة التارقية ومكانتها الاجتماعية في مجتمع إموهاغ
The role and social standing of women in the Imohag community

د. زندري عبد النبي
مخبر الموروث العلمي والثقافي بمنطقة تامنغست
جامعة تامنغست–الجزائر 1 zendria@yahoo.fr

ملخص :

في هذا المقال يحاول الباحثان الوقوف على دور المرأة التارقية في المجتمع التارقي لأن رؤية العلماء والمتخصصين لدور المرأة اختلفت بحسب الخلفيات المعرفية لكل رؤية، فالمجتمع التارقي يتميز بسمات اجتماعية وثقافية وتاريخية شكلت للمرأة مكانة خاصة تبلورت حولها معظم تجليات المجتمع التارقي وارتبطت بها جميع قضاياه، فتفردت مكانتها في هذا المجتمع بالانسجام الذي يضفيه دورها فيه وبخاصة ارتباط النسب في المجتمع التارقي بها، فالسلطة فيه مرتبطة بها، والثروة كذلك، والثقافة، والتقاليد فأي مكانت تحظى بها المرأة في هذا المجتمع في ظل تداخل أدوارها مع آليات اتساق وانسجام المجتمع التارقي؛ هذا ما سيتوسع فيه الباحثان في ورقة بحثية موسومة بـ" دور المرأة التارقية ومكانتها الاجتماعية في مجتمع إموهاغ "

الكلمات المفتاحية: دور، المرأة، التارقية، مكانة، المجتمع، إموهاغ

Abstract:

In this article, the researchers try to identify the role of women in the historical society because the vision of scientists and specialists of the role of women differed according to the cognitive backgrounds of each vision, the historical society is characterized by social, cultural and historical features that formed women a special place around which most of the manifestations of the historical society crystallized. It has been associated with all its issues, and its place in this society has been unique in the harmony that its role in it, especially the association of proportions in the tabernaq society, where power is linked to it, wealth as well, culture and traditions, whatever women have in this society in Their roles continued to overlap with the mechanisms of consistency and harmony of the tabernacle society, which will be expanded by the researchers in a research paper marked by "the role of the tarmac women and their place in the Imohag society"
Keywords: Role, Women, Tarqa, Status, Society, Imohag

مقدمة:

إن الكثير من الدارسين للمجتمعات ، يهتمون بدراسة النظم الاجتماعية في مختلف جوانبها الاجتماعية والسياسية و الاقتصادية، كما يأخذون بدراسة المرأة كعنصر مستقل بذاته في إطار دراستهم للمجتمع ، فهناك من ينظر إليها من الناحية الديمغرافية كمصدر للإنجاب، ومن جهة أخرى نجد من يتناولها من المنطلق الاقتصادي كيد عاملة في الزراعة في المناطق الريفية، ففي الغالب يتم تناول المرأة فى دراسات عديدة بمعزل عن المجتمع الذي تنتمي إليه، وهو ما نريد تركيز الضوء عليه من خلال ربط المرأة بنظام المجتمع وبنائه، ففي ورقتنا البحثية هذه نحاول دراسة مكانة المرأة في مجتمع إموهاغ دراسة شاملة ومتكاملة بحيث ننطلق من

الوظائف التي تقوم بها المرأة داخل النظام الاجتماع، وعلاقة تلك الوظائف بمكانة المرأة والسر وراء ارتباط الحكم عند إموهاغ بالنسب الأمومي للنطلق بذلك من تساؤلات مهمة نبني عليها بحثنا ونؤطر بها مساره وهي ما مكانة المرأة في مجتمع أيموهاغ؟ ما علاقة الوظائف التي تؤديها المرأة في مجتمع إيموهاغ بمكانتها الاجتماعية فيه؟ وما سر ارتباط الحكم في مجتمع إيموهاغ بالنسب الأمومي؟ هذه تساؤلات وأخرى سيقف عليها الباحثان في ورقة بحثية موسومة بـ" **دور المرأة ومكانتها الاجتماعية في مجتمع إموهاغ**"

1- مفهوم المكانة الاجتماعية :

تُشير المكانة الاجتماعية إلى المرتبة التي يمتلكها الفرد؛ وذلك يتضمن الحقوق المضافة، الواجبات و أسلوب الحياة في المناصب الاجتماعية التي تقوم على الاحترام و السُمعة، والمكانة الاجتماعية لها نوعان مختلفان يأتيان بإتفاق معاً؛ المُكتسبة و المُنتسبة، فعبارة المكانة الاجتماعية تعود إلى الطبقات الاجتماعية على مقياس مُنضبطفي المجتمع، طبقة المجموعات المنبوذة تُعامل باحتقار أو تُعتبر منبوذة من أغلبية السُكان، المصطلح مستمد من بارايار (الطبقات المهانة)، يُعامل أعضاؤها كمنبوذين في المجتمع الهندوسي، مثلا، وفي المجتمعات الحديثة تُعتبر الوظيفة عادةً القرار الأساسي لتحديد المكانة، ولكن الأعضاء الآخرين أو المنضمين (كالقبائل العرقية، الدينية، الجنسية، الرابطات التطوعية، المعجبين، الهواة) يمكن أن تُحدِث تأثيرا، فتبدوأهمية المكانة الاجتماعية متمثلة في الواقع في الشغوفين، الرياضيين، رئيس المشجعين، الأذكياء و غريبي الأطوار، الشائع تواجدهم في هوليوود داخل مدارس الثانوية الأمريكية، وتُكتسب المناصب عندما يُستبدل الأشخاص في مبنى الطبقات الاجتماعية بناءً على جدارتهم الفردية أو إنجازاتهِم، وهذا المنصب يمكن أن يُكتسب من خلال التعليم، والمهنة و الحالة الزوجية،

فمكانتهم ضمن بنية الطبقات الاجتماعية مصممة من قبل المجتمع، الذي غالباً يحكم عليهم من خلال النجاح، نجاح التصرف المالي، الأكاديمي، السياسي و هكذا، فمثلا في أمريكا عموماً هي أكثر مشتركة تستخدم هذا النوع في الوظائف، فأعلى رُتبةً تشغلها تكون وقتها الأفضل وأكثر سُلطةً تملكها على زملائك في العمل.

في مجتمعات ماقبل الحداثة، كان اختلاف المكانات الاجتماعية مُتنوع على نطاقٍ واسع فقد تكون في بعض القضايا متعصبةً بالكامل و طبقيةً تماماً، مثل المنهج الهندوسي الطبقي في حالات أُخرى، الطبقات الاجتماعية موجودة بطريقة غير رسمية، كما في الواقع مع بعض المجتمعات البدائية مثل الخوي سان ، و بعض مجتمعات سُكان أستراليا الأصليين. في هذه الحالات، الطبقات الاجتماعية مُقيّدة لتحديد العلاقات الشخصية. مثلاً رجُل الخوي سان (سكان جنوب أفريقيا الأصليين) يتوقع أن يُعامِل والدة زوجته بجدية (علاقة غير هزلية)، مع أن الحماة ليس لها مكانة خاصة تجاه أحد غير زوج ابنتها و في محيط مُعين فقط. كل المجتمعات لديها نوع من الطبقات الاجتماعية، فالمكانة الاجتماعية هي هدف مهم في الطبقات الاجتماعية، فقد ميّز ماكس ويبر المكانات الاجتماعية من طبقات المجتمع، رغم أن بعض تجارب الخبراء المعاصرون أضافوا فكرتين لصنع مكانة إجتماعية–إقتصادية، عادةً يشغل دليل بسيط للأرباح، التعليم و السُمعة المهنية.

2- الانتساب الأمومي في مجتمع إموهاغ تأكيد على مكانة المرأة

يشير هذا المصطلح إلى تتبع العلاقة بالأقارب في الخط الإناث وحدهن من أجل بعض الأغراض الاجتماعية ، كما يستخدم أحيانا كمرادف لمصطلح صلة الرحم (1).

إن تناول هذا المصطح في دراسة نظام القرابة عند اموهاغ فتح المجال للعديد من الدارسين في مختلف العلوم الانسانية والاجتماعية، حيث نجد غالبيتهم اتجه نحو

اعتبار مجتمع إموهاغ مجتمعا اموميا ، غير إن النظرة الشمولية للنظام الاجتماعي توقفنا عند وجود النظام الأبوي والأمومي معا في التناول الاجتماعي عند اموهاغ ، فنجد نسبة الابن لأبيه عند التعريف به أو تقديمه لشخصه مثلا كأن نقول أق يحي يعني ابن يحي ، أو ولت أوخه أي بنت اوخه، وهذا من جهة التعريف بالشخص من منطلق ربط نسبه بأبيه، فلا نجد عند اموهاغ من يربط نسبه إلى أمه إلا في الحالة التي يكون الشخص فيها مجهول الأب .

ومن جهة أخرى نجد أن العلاقات الاجتماعية التي تربط الشخص بإخوته تستند إلى نسبته لامه ، حيث نجدهم مثلا يعبرون بقولهم اختك ولت ماك (بنت امك) هنا نجد أن إموهاغ ينسبون الأخت إلى الأم في العلاقات الاجتماعية عكس تعريف الشخص لذا يمكننا أن نقول : نسب الشخص يكون في خط أبيه عند التعريف به ، أما في العلاقات الاجتماعية التي تربط الفرد بأقاربه، فيتم الاستدلال عليها بواسطة القرابة عن طريق خط الأم ، ذلك حسب ما وضحناه في الأمثلة السابقة .

3-النظام الاجتماعي المرتبط بالأرض دعم لرئاسة المرأة للهرم الاجتماعي:

إن لكل تنظيم ماهية عملية وضعت للفصل بينه وبين بقية الأنظمة، فإن النظام الاجتماعي يمكن تعريفه حسب الدكتور عاطف غيث : " هو نموذج مستقر نسبيا للعلاقات الاجتماعية بين الإفراد والجماعات الفرعية داخل المجتمع، أو داخل جماعة معينة، يقوم على انساق الأدوار والمعايير والمعاني المشتركة، التي توفر النظام والقدرة على التنبؤ الاجتماعي ". أي إنه عبارة عن نظام متجانس ومتكامل في الوظائف الاجتماعية، تحكمه مجموعة معايير وقيم ترتبط بين الأنساق الفرعية لبناء النسق الكلي ، فيه نجد لكل فرد من أفراد المجتمع دورا يكمل دور الفرد الآخر في

تجانس محكوم بقوانين عرفية أو مكتوبة تتحكم في السير الحسن للعملية ، وهذه الأدوار نجد أنها محكومة حسب مكانة ومعرفة ومقدرة الفرد داخل الجماعة .

إن إمعان النظر في النظام الاجتماعي عند إموهاغ يظهر أنه عبارة عن نظام قبلي كما تطرقنا إلى ذلك سلفا حيث إن مجتمع إموهاغ ينقسم إلى عدد من القبائل، وكل قبيلة تنقسم إلى أفخاذ وعشائر، وكل عشيرة هي مجموعة عائلات، والتي هي بدورها مجموعة أسر نواتيه، والتي تشكل قاعدة هذا الهرم القبلي، والقبيلة في الواقع هي العنصر الأساسي الذي يميز إموهاغ سواء المستقرون منهم أو الرحالة ويطلقون على القبيلة اسم (توسيت)، والتي تتكون من مجموعة من الناس الذين يجمعهم الولاء المشترك لأحد أفراد القبيلة الذي يتولى رئاستها وغالبا ما يكون أكبرهم سنا أو جدهم الأكبر، والقبيلة بدورها تتفرع إلى عائلات أو عشائر تسمى (أغيون) ،ويتكون من مجموعة من الأسر التي تسمى (إيهن)، إذن فبالرغم من كون الأسرة هي الخلية الأساسية للمجتمع إموهاغ ، إلا إن دورها مرتبط بالهيكل الكلي الذي تمثله القبيلة ،حيث تتمتع كل قبيلة بالاستقلال التام في شؤونها الداخلية وتتصرف كوحدة واحدة في علاقاتها مع غيرها من القبائل الأخرى، وتلعب القبيلة عدة أدوار في مختلف المجلات منها الاجتماعية والاقتصادية و السياسية.

إن الانتماء إلى قبيلة معينة يحدد المكانة التي يستحقها الفرد بين الآخرين، وكذلك الدور الذي سيلعبه والوظائف التي سيقوم بها في إطار الجماعة، هذا يعني أن المكانة الاجتماعية للفرد تحددها القبيلة التي ينتمي إليها، بمعنى أن الفرد في المجتمع يمثل قبيلة، هذه المكانة يمكن ربطها بالنسب الذي يرتبط عند إموهاغ بخط الأم لا الأب حيث يشار إلى ذلك بقولهم (الابن يتبع البطن لا الظهر) دلالة على أن الانتساب يكون من جهة الأم .

إن الفرد يعمل باسم القبيلة التي ينتمي إليها كما يعيش صورتها الاجتماعية الأخلاقية، وكذا الاقتصادية فهي الإطار المادي والمعنوي الذي ينطلق منه الشخص، فمثلا عندما يعرفك شخص بنفسه فانه يذكر اسمه ثم اسم أبيه ثم اسم قبيلته، أي إن الانتماء إلا أي قبيلة هو الذي يحدد شخصية الفرد، هذا الانتماء يبين لنا الانتماء إلى عصبية قبلية معينة كما أن الانتماء إلى قبيلة ما عبارة عن امن لجميع أفرادها خاصة الضعفاء ،كالشيوخ و العجزة و الأرامل واليتامى، فلا بد أن يكون هناك دائما من يقوم برعايتهم وحمايتهم لأن شروط الحياة الصعبة أدت إلى ضرورة حياة جماعية، وإلى التعاون وهذا التنظيم الجماعي كان لازما لبقاء الجماعة والتعاون روح المجتمع وضرورة اجتماعية .

من هنا نقف على أن المرأة تحافظ على المكانة الاجتماعية داخل المجتمع لمن ينتسب إليها من أبنائها هذا ما نجده في نقل السلطة عند إموهاغ التي تنطلق من الخال إلى ابن أخته الكبرى حسب ما تسير به قاعدة تمنوكلى .

4-النظام السياسي لمجتمع إموهاغ وإرساء مكانة المرأة في السلطة

ما من شك أن لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية تنظيما يسيره ويتحكم في سير حياته، وذلك من خلال بسط مجموعة من القوانين تضبطه تتحكم في زمام الأمور لتحقيق الاستقرار، فمجتمع إموهاغ كباقي المجتمعات المعمورة له نظامه السياسي والاجتماعي الذي يتحكم فيه .

إن النظام التقليدي عند ايموهاغ يعتبر نظاما كنفدراليا يقوم على تجمع قبلي على شكل بنية هرمية رئيسها " أمنوكال " رئيس الكونفدرالية وقاعدتها المحكومين، وذلك مرورا بمساعدي أمنوكال، وهما رئيسا قبائل إمغارن، فكلمة أمنوكال مركبة من كلمتين وهما (مسيس)وتعني السيد أو المالك،وكلمة (أكال) والتي تعني الأرض أو البلد، فهو مالك أو سيد البلد أو الأرض الذي يمثل الكونفدرالية، وهنا نجد أن السلطة

الكونفدرالية مرتبطة بالأرض، التي تسيطر عليها الكونفدرالية ، والتي تتحكم في تسيير شؤونها وتدافع عنها.

إن تنصيب أمنوكال أو اختياره يتم بإتفاق رؤساء القبائل التي تتواجد في التجمع الكنفدرالي ، وذلك بإختيار القبيلة النبيلة، أو بصفة أوضح يختار أمنوكال من بين الوارثين الذكور عن طريق الخط الأمومي للمجموعة ضمن العصبية السائدة المعترف لها بحق الحكم : أوراغن في آجر وكيل أغلا في أهقار، ويتم الاختيار وفق معايير وميزات خاصة لابد من توفرها؛ تختبر فيها شخصية المرشح وسيرته على ثلاثة أبعاد: السياسية ،الأخلاقية ،الثقافية والجسمانية .

إن الترشيح للقب الأمنوكال يكون من جهة الأم لا من جهة الإخوة أو الأبناء لأن الاعتقاد السائد في مجتمع إموهاغ "أن ابن الأخت يجري في عرقه الدم النقي الواضح لسلالة السلطان أكثر من الإخوة والأبناء الذين قد يشك في نقاء دهم"(1)، إن الأم تلعب دورا كبيرا في انتقاء وترشيح الأمنوكال صاحب السلطة والمشورة ، وهو المرجع في الرأي وفي حل القضايا الاجتماعية، وكذلك هو صحاب الحل والعقد في الصلح والخصومات والحرب وكذا في الزواج وغيرها من شؤون مجتمع إموهاغ.

5- المرأة في مجتمع إموهاغ ناقلة النسب والجاه

إن الواقع الاجتماعي للمرأة قي معظم المجتمعات، يوحي أن وضعية المرأة في معظمها اقل شانا من وضعية الرجل في المجتمع، حيث تعامل المرأة باسوا المعاملات، وقد وصل القهر في بعض المجتمعات إلى وأد البنات (الدفن) في العصر الجاهلي عند العرب ، أما عن حالها في البلدان الأوروبية فحتى ظهور الثور لديهم والتي حولت العديد من معالم النمطية للمجتمع ، حيث كانت وضعية المرأة مذرية ، حيث ظهرت على اثري ذلك العديد من المنظمات تدعو الى حرية المرأة وتطالب بحقوقها ضمن المجتمع ...الخ، ويعود ذلك إلى ربط قضية الشرف بالنسبة

لهذه المجتمعات بالمرأة ، وكذلك اعتبار المرأة كائن ناقص الأهلية ، وهناك من المجتمعات من أسقطت عنها صفة الإنسانية ، وهو ما دفعهم إلى أذلالها وحبسها، و قد وصل بهم الأمر إلى دفنها حية كما ذكرنا، حيث يظهر ذلك في صور الموروث الشعبي من أمثال وحكم و قصائد وقصص وحكايات في هذه المجتمعات، ويقابل ذلك ممارسة يسودها الاحترام الكبير للمرأة في مجتمع إموهاغ ، والحرية التي تتمتع بها المرأة عند إموهاغ ، وهو ما أدى بالكثير من الدارسين لهذا المجتمع إلى تصنيفه من المجتمعات الأمومية ، أي إن القرابة من جهة الأم وكذلك النسب والجاه ، ومن ثم يعتبر الأبناء في جماعة أمهم ، حيث يقولGast " يتميز السلم الاجتماعي عند إموهاغ بنفوذ المرأة لأنه مجتمع أمومي " (3) بينما يقول زناتي: " التوارق الذين يسكنون الصحراء الكبرى كانوا يتبعون القرابة الأمية وما زالوا يفعلون، وإن فقدت هذه القرابة قدرا من أهميتها بسبب اعتناقهم الإسلام " (4)، وذلك كونه أخذ من ما كتبه ابن بطوطة الذي قال عن إموهاغ "... وشأن هؤلاء القوم عجيب فأما رجالهم فلا غيرة لديهم، ولا ينسب أحدهم إلى أبيه بل ينسب لخاله، و لا يرث الرجل إلا أبناء أخته..." (5) ، والذي عقب على كلامه محمد السويدي ، حيث اعتبر ابن بطوطة قد بالغ في استغرابه عن عادات إموهاغ حيث أدخل في وصفه نوعا من الذاتية لكونه لم يتلق الترحيب ، ولم يتمكن من الزواج من إموهاغ .

إن واقع إموهاغ لا يخفي انتقال النسب عن طريق الخط الأمومي ، حيث إننا انطلاقا من المقولة الشهيرة والشائعة في إموهاغ تعبر عن ذلك "إن النسب يتبع البطن وليس الظهر"(6)؛ أي إن الابن يتبع أمه لا أبيه ، كما أن الحكم يتوارث على الخط الأمومي ، حيث إن القاعدة تقوم على إن خليفة أمنوكال ، هو ابن أخته الكبرى وابن خالته وابن أخواته الصغريات وليس أبنائه ، هذا الشرط الذي هو مرتبط بالنسب الأمومي ، يفسر على أن الخط الأمومي هو الذي يمكنه أن يحافظ على

السلطة لعدة اعتبارات ، منها التكوين الشخصي للفرد ، وأن الارتباط بالخط الأمومي يحافظ على الملك كما تحافظ الأم على ابنها وكما تحافظ النساء على العادات والتقاليد ، حيث نجدهن يدافعن عن الهوية بكل حماسة عكس الرجال الذين اثر عليهم الترحال الذي أبعدهم عن الحنين إلى الأرض ، حيث نجد أن الرجل الأقرب إلى بيع الأرض من المرأة التي لها عهد بالأرض وارتباط روحي بها؛ لذا كان الملك في الخط الأمومي كونه مرتبط بالأرض لكن تناول هذه القضية من جانب واحد ، أي بعزلها عن باقي المجتمع أدى الى الوقوع في الخطأ لدى العديد من الدارسين مما دفعهم إلى المبالغة في تفسير ارتباط النسب أو الملك والسلطة بالخط الأمومي ، فكانت نتيجة تلك المبالغة تفسيرات خيالية أسطورية لا علاقة لها بالظاهرة الاجتماعية .

أما من الناحية الاجتماعية فإن معظم الباحثين لم يفهموا الطابع الاجتماعي الأمومي الخاص بإموهاغ ، وهذه ميزة عامة لمعظم البحوث الانتربولوجية التي لم تتمكن من التفسير الجيد لمكانة المرأة ودورها الاجتماعي في المجتمعات التقليدية، والقصور في معظم الأبحاث التي تناولت المرأة عند إموهاغ يعود إلى معالجتهم لموضوع المرأة وكأنه موضوع مستقل عن المجتمع ، فأهملوا بذلك إطارها الاجتماعي الذي تكون المرأة جزءا منه ولبنة أساسية من لبناته، فالتنظيم الاجتماعي ما هو إلا خطة وضعها المجتمع من أجل أهداف معينة ، فمن خلال المنظور الاجتماعي لمكانة المرأة في المجتمع التقليدي لاموهاغ يتبين أنها سيدة بيتها ، فلا علاقة لها بالشؤون الخارجية (السياسية) ، أي إن دورها يقتصر على البيت وجميع شؤونه فإن كانت هي الناقلة للنسب والجاه داخل المجتمع ، فذلك يعتبر من بين الأدوار الضمنية التي يسير بها المجتمع.

حيث إننا نجد بعض الألفاظ التي يتناولها إموهاغ مثل (ولت ماك) ، والتي تعني أختك والتي تحمل في معناها (أبناء أمك) ، وكذلك لفظة(ايت ماك) التي تعني إخوتك وتحمل معنى(أبناء أمك) ، هذه العبارات وأخرى تدل على أن النسب أمومي يربط الفرد بأفراد قرابته عن طريق الأم، لكن إلى جانب ذلك نجد ألفاظا أخرى مثل (أق اخموك) والتي تعني ابن اخموك ، وكذلك عبارة (ولت أوخى) وتعني بنت أوخى، هذه العبارات تدل على أن النسب أبوي أي أن الشخص يعرف بأبيه، وهذا ما يستدعي الوقوف على اللحظة التي يكون الانتساب فيها أموميا ، واللحظة التي يكون فيها في الخط الأبوي.

إن ما نستشفه مما عرضناه فيما سبق أن الابن عند إموهاغ ينتسب إلى أمه في الروابط القرابية بينما ينتسب لأبيه في تعريفه الشخصي .

إذن فإن المرأة في داخل التنظيم الاجتماعي، تلعب دورا مهما ورئيسيا في ذلك النظام، ونظرا لكونها الناقل للإرث الاجتماعي، و الحافظة للإرث المادي و المالكة لحق الانتساب، و الناقلة للجاه لأبنائها إضافة إلى مالها من مكانة و حرية في وسط مجتمعها.

ومن ما سبق نجد أن هذا الولاء الاجتماعي الذي كان للمرأة اكتسبه من القدرة على التحكم في توجيه الحياة الاجتماعية ، وكذا الحفاظ على موروثها الاجتماعي، الذي اكسبها الشرعية في انتماء أبنائها إلى عشيرتها ، وبذلك الحق في تلقينهم العادات والتقاليد والأعراف التي لقنتها إياها أمها أو جدتها لكن من جهة أخرى نجد أن الفرد في حال التعريف بشخصه يربط نسبه بأبيه أو خط أبيه .

6- المرأة في مجتمع إموهاغ ركيزة أساسية في التنشئة الاجتماعية

إن التنشئة الاجتماعية هي ذاك التلقين الاجتماعي الذي يتلقاه الفرد داخل بيئته الاجتماعية لترقيته من كائن حي حيواني إلى إعداده ليكون كائنا حيا اجتماعيا، أو

هي عبارة عن تلك المعايير و القيم و العادات و التقاليد... الخ التي تمثل وسائل الضبط الاجتماعي، و كلما استطاع الفرد الاندماج داخل جماعته و في وسط الحياة الاجتماعية كلما كانت تنشئته ملائمة، ومن أهم عوامل التنشئة الاجتماعية تحديد الجماعة لأدوار الأفراد التي تطلب منهم القيام بها، و ذلك تبعا لجنس الفرد و مرحلته العمرانية.

إن التنشئة الاجتماعية عند بدو إموهاغ تجعل للفرد عدة مراحل اجتماعية ، و التي تحددها الجماعة خلال مراحل نموه من طفولته إلى شيخوخته، فالمرأة في ظل هذا الأساس تعتبر المركز الرئيسي في عملية التنشئة حيث إنها العمود المركزي للخيمة وكذا البيت ، فعند بدو إموهاغ نجد أن أمر صناعة الخيمة يعود إلى أهل المرأة وبصفة أدق يعود إلى أم العروس حيث إن المتزوجين حديثا لا يمكنهم العزل والاستقلال إلا بعد استكمال أم العروس خيمة بنتها و إرفاقها بجميع لوازمها، حيث تشرع في ذلك بعد مراسيم العرس، وقد تطول مدة التجهيز إلى سنتين أو أكثر حسب مدة الانجاز – بالنسبة للخيمة – و استكمال اللوازم ، هذه المدة كفيلة بزيادة الطفل الأول في مخيم أجداده من أمه وفي هذه الحالة تتكفل أم العروس بحفيدها مساعدة للأم الجديدة ، حيث نجد أن إموهاغ في هذا الشأن ، يركزون على أن يكون المولود الأول عند أهل الزوجة حتى وقتنا هذا، وذلك حتى تساعد الأم ابنتها في تدابير رعاية مولودها الأول، وهذا يدل على أن التنشئة الاجتماعية ترتكز على المرأة أكثر منها على الرجل وذلك يمكن تفسيره من خلال كون المرأة هي المالكة للخيمة، فلها بذلك الحق في التصرف فيها، وهنا يقال إن المرأة هي سيدة بيتها ؛ أي أن كل الأمور تعود إليها في تسيير بيتها والتحكم فيه، هذا ما يسمح للمرأة بأن تحافظ على الإرث ونقله لأبنائها وذلك عن طريق التوارث الاجتماعي .

إن المدة التي تقضيها الزوجة مع أمها ، كفيلة بتلقينها أسرار الحياة الزوجية ونقل آداب التنشئة الاجتماعية إليها ، هذا ما يضمن انتقال الإرث اللامادي من جيل إلى جيل عن طريق المرأة .

7 – المرأة في مجتمع إموهاغ ركيزة الأداء في الفنون :

في جميع الفنون الشعبية عند إموهاغ نجد في مركزه المرأة ، التي هي المحور الأساسي في تفعيل هذه الموسيقى , حيث لا يمكن أن يعقد إمزاد ، إلا بحضورها لكي تدنو للعزف على آلة إمزاد بصمت ويأتي المؤهل من الرجال لكي يقوم بمحاصرة ألحانها _ إن صح التعبير _ فمواجهة الحان إمزاد ليست متاحة لكل من الرجال ، ولا يحضر مجالسه إلا من ارتقت أنفسهم لمجلسه .

كما نجد أو تندي لا يمكن أن تبدأ إلا بحضور النساء كونهن هن اللاتي يحركنها ، حيث يقال في هذا المقام إن المرأة هي أساس وروح الفنون الشعبية فلولاها لما قامت لها قائمة ،فهي التي تؤدي الغناء في التندية تعزف على آلة الإمزاد ذات البعد الأسطوري والإمزاد هي آلة لها صوت رقيق وجداني تعد من أفضل الآلات الموسيقية في مجتمع إموهاغ، تتصدى للعزف عليها في العادة المرأة ، كما أن اسمها ينسب إلى الشعرة المنفردة من شعر الخيل تصنع من صحن كبير مصنوع من الخشب تغطى الجهة الفارغة منه بجلد الماعز، والعود الخاص به يقطع من شجرة أفزو ويمسك بين طرفي العود بشعرة الخيل التي تستعمل في العزف، والمرأة التي أبدعت في العزف على آلة الإمزاد حيكت حولها أساطير عديدة حيث أبدعت امرأة من قبيلة الأمنوكال غالا تدعى داسين وأختها أمينتا، فلا زالت تخيم في اللاوعي الجمعي لمجتمع إموهاغ فنية داسين في مداعبة الإمزاد في عزف أسطوري قل نظيره، إبداع يسمو بالنفس إلى عوالم ساحرة جعلت الإمزال ينزل منزلة التقديس فلا صوت يعلو إذا صدع الإمزاد بأنغامه.

إن الإمزاد تقودها المرأة في مجتمع إموهاغ لتؤثر في النفوس والعواطف فتنقيها، يرافق إيقاعها غناء بمواضيع الحب والوحدة والغيب والخوف والحرب ليزيد من شجاعة الرجل في هذا المجتمع ويشحذ همته، بل يجعل النفس تترفع عن كل ما يدنسها كالخيانة والخديعة، والنميمة، أو الكذب والسرقة، و غير ذلك من العيوب والآفات الاجتماعية، بل الإمزاد وجد للمحافظة على عذرية العلاقات العاطفية ونقاوتها كما قيل بأن الرجل الذي يستمع إلى إمزاد لم يقرب ما يحط من كرامته أو ينتقص من خلقه (8)، الامزاد لحظة السمو والصفاء لحظة النقاء لحظة الارتقاء إلى معالي النفوس ومعانقة الفضائل ونقاء السريرة.

المرأة كذلك مركز التيندي والتيندي رقصة شعبية متداولة في مجتمع إموهاغ منذ القدم وهي طبل تعزف عليه النسوة في أوقات الأفراح وأزمنة المسرات وأثناء غياب الزوج(9) ، فالتيندي تصنع من حطب الأثل(المهزار) ومن جلد الماعز(الأم) ويعتبر هذا النوع من الغناء المرافق للموسيقى أكثر الفنون تنوعا وإطرابا في مجتمع إموهاغ تتميز رقصاته التي يستعمل فيها قضيبان من الخشب لحبك الطبل (أقت) ، وتجلس عليهما امرأتان بحركات متقنة تؤدى وفق الايقاعات المنظمة لآلة التندي(10).

كما أن سهرات التندي تأخذ أشكالا متنوعة منها التندي العادي وهو الذي يجلس فيه الرجال والنساء في مكان واحد بصورة مختلطة، أما تندي ايلوقان فتغني فيه النساء منفردات والرجال يمتطون ابلهم التي ترقض بحركات عجيبة على نغمات التندي، والنوع الثالث تندي اجلوى تتغنى النسوة فيه بالقصائد الملحنة في الوقت الذي يدور فيه الرجال فوق ظهور إبلهم بلباسهم التقليدي حول التندي وهو يؤدون حركاتهم المعهودة، أما النوع الرابع فهو تندي أكرهي ، وهو نوع يتميز بنتقاء أجمل النساء في الحفل ويوضع فوق رأسها لحاف أسود كالخمار يدعى أكرهي، ويقوم أحد فرسان الابل من الرجال بمحاولة اختطاف لحافها ، ومتى توصل إلى ذلك يلحق به مجموع

الفرسان عدوا قصد إرجاع اللحاف للمرأة الجميلة، في حركات درامية ومن توصل إلى ذلك يحصل له الشرف في أن يكون فارسها المفضل حتى وإن لم يكن في مستواها ، فيشتهر الرجل إثر ذلك وتكبر قيمة بعيره معه. (11)

8-إن المرأة في مجتمع إموهاغ فارسة الشعر

لقد اشتهرت نسوة مجتمع إموهاغ برواية الشعر وقرضه حيث نجد منهن أسماء صنعت لها تاريخا مع الكلمة والإيقاع فمنهن قنوة ولت أمستان صاحبة الشهرة والمكانة المرموقة وكذلك أخت الأمنوكال أخاموك أق إهمة وهي داسين ولت أيهما وهي صاحبة الحظوة المعروفة بالحكمة وبرشاد مشوراتها ورفعة نسبها، والكثير من القصائد التي يتناقلها الآباء عن الأبناء تحمل بين معانيها ودلالاتها أحاسيس الأنثى وإيقاع رهافته، ومن أشهر ذلك إسوضاس:

ياللولبا	ياللولبا
أباراضين	يرا ايضص
تمراوالت	اويد ايضص
ياللولبا	ياللولبا
وانم يطس	واني يوقى

إنها كلمات تخاطب فيها الأم ابنها وتداعبه لينام هنيئا تراث شفوي بعبق إحساس المرأة وحنوها، إنه تراث تتناقله الأجيال جيلا بعد جيل،إن المرأة سر تناقل الأجيال لإرث لا مادي يعتبر رصيدا من تراث اللاوعي الجمعي لمجتمع إموهاغ.

كما نجد قصيدة أليون وهي من أشهر القصائد التي تتناقلها النسوة في مجتمع إموهاغ في الأعلاس والأفراح معظمها توجيهات للعروسين وهي:

آنس وانسدوبن
تهولكي تضجالتنك
تناك اقظاس يليس

آراس تدوبنت تينسي
أرآس الحرير تيلي
ورتت اينيلي أنسا كان
ورتت اينيلي أنسا كان
ورتت أو إينيلي انفودان
وغد إرازان أهيبقا نتقالت انم نوار أونام

إنها قصيدة تحمل توجهات للعروسين ترددها النسوة بألحالنهن الشجية وإيقاعاتهن الندية تجعل السامع ينتشي بعبق كلماتها وعمق دلالاتها ، وعبير حكمها وتوجيهاتها، إن المرأة تجعل التقاليد والعادات في قوالب إيقاعية تجعلها تستقر نغمات في قعر آذان سامعيها وتتجلى سلوكات في ممارسة سامعيها إنه دور المرأة في تماسك الأسر وانسجامها والتحام المجتمع واتساقه.

9-المرأة في مجتمع إموهاغ صمام الحفاظ على التراث الشعبي

ان الحديث عن الدور الذي يمكن ان تلعبه المرأة ، في نقل والاحتفاظ بالموروث الشعبي المادي منه والمعنوي ، يجعلنا نقف عند المكانة التي تشغلها المرأة في البناء الاجتماعي فمحافظتها على الجاه والحامي للخيم ، ومديرة التنشئة كلها أدوار مقرونة بها، وهو ما يجعلها مؤهلة للقيام بدور الحامي والناقل لهذا الموروث ، وفي هذا الإطار نحاول أن نستعرض بعض المواقف الدالة على دور المرأة في الحفاظ على التراث الشعبي .

عندما نلاحظ بتأمل القصة التي يحكيها إموهاغ عن سبيبة والتي تشير الى أن المرأة في التي انتبهت إلى موعد سبيبة عندما أتت عاصفة قوية كادت أن تهلك المدينة ، فكان تذكرها ذاك منقذ لأهل جانت ، حيث كانت ردت فعلها بأن دقت على الطبل معلنة عن موعد سبيبة الذي نساه الناس ، فكان هذا التذكر في الذاكرة

الجماعية لإموهاغ ، دال على أن المرأة في ركيزة الذاكرة والحافظ لعهد سبيبة فنظرا لنباهتها واهتمامها ، كان لها الدور في الحفاظ على المجتمع من الهلاك ، ولها الدور في الحرص والسهر على الاحتفاظ بالموروث الشعبي .

وهناك قصة أخرى تتعلق بالمرأة وصيانتها للذاكرة الجماعية تتجلى في الموروث الشعبي تتعلق بمصدر إمزاد ، والذي يحتفظ إموهاغ بالقصة التي تظهر أن المرأة هي التي تدخلت من أجل إيقاف العراك الذي دار بين رجلين من إموهاغ ذلك بصنعها لإمزاد والعزف عليه ، حيث أدى ذلك الفعل إلى توقف الرجلين عن القتال وجلوسهما للاستماع إلى هذا الصوت السحري الذي تصدره هذه الآلة العجيبة ، فما يمكن أن نستشفه من هذه القصة ، بأن المرأة لم تلجأ إلى العزف وصنع الآلة إلا جراء اهتمامها وخوفها من هلاك أهلها ، هذا دال على أن المخيال الشعبي ينقل صورة المرأة الحافظة للموروث الشعبي ، والتي تستعمله في توجيه المجتمع والعمل على استقراره وحفظ وحدته وصيانة تماسكه.

من هذا يمكن أن نعتبر أن الموروث الشعبي اللامادي والمتمثل في الفن الشعبي له دور اجتماعي يؤديه ، وتعتبر المرأة هي المحرك والناقل له والحافظ عليه في المجتمع ، فالنتيجة التي يمكن أن نقف عندها هي أن المرأة في أساس الحفاظ ونقل كل العادات والتقاليد والموروث الشعبي بكل أبعاده في المجتمع ، ذلك ما يعكس المكانة الاجتماعية التي تحتفظ بها المرأة في النظام الاجتماعي عند إموهاغ، فهي جوهر هذا المجتمع الناقلة لخصوصيته عبر الأزمان والمتمسكة بأرض الأجداد مورثة تقاليدهم وعاداتهم للأبناء والأحفاد.

خاتمة :

إن المرأة في مجتمع إموهاغ تحظى بمكانة مرموقة فسلطة المجتمع تستمد من نسبها، وحكامة ورشادة الأسرة تستمد من دورها، هذا الدور الذي جعل تعيين

الأمنوكال انطلاقا من النسب الأمومي تعززا لمكانة الأم المرتبطة بالأرض وبالعادات والتقاليد، إنها ناقلة الجاه والنسب، منشئة الأبناء تنشئة تغترف من عبق عادات الأجداد وأصالتها، إنها قطب رحى فنون مجتمع أموهاغ هي من يرصع نغمات الفنون ويضبط إيقاعها ويشحذ همم الرجال وتقوم السلوك من خلال القصائد التي ترددها وتصدح بها حنجرتها التي تنفخ رهافة الحس في كلماتها فتخترق الأسماع وتذكيها أخلاقا وعظمة وشرفا وإباء، إنها فارسة الشعر تردده في رقصاتها وسهراتها وفنونها الشفوية وأثناء الأفراح والأقراح ومداعبة الصبيان وبث الحماسة في قلوب الشجعان، إنها المرأة في مجتمع مكانتها فيه جعلت منها صمام أمان التراث الشعبي لهذا المجتمع فهي حامية اللاوعي الجمعي ترضعه أبناءها ويرتشف منه أحفادها، إنها رمز الصمود أما المتغيرات، بل هي جسر التواصل بين الأجيال وسر حفاظ مجتمع إموهاغ على خصوصيته وتشبته بعاداته وتقاليده وارتباطه بأرضه أرض أجداده، أرض يسري نسيمها في دم تشربها وأشربها وورثها لأجيال متعاقبة لتستمر بمكانة المرأة قوة وتماسك مجتمع أموهاغ.

الهوامش والإحالات :

[1] – عبد الهادي الجوهري : قاموس علم الاجتماع . المكتب الجامعي الحديث ، الازريطة ، الاسكندرية . 1998 . ص : 30

[2] – محمد سعيد القشاط، الطوارق عرب الصحراء ، طرابلس المغرب، 1987، ص :48

[3] – GAST(Margeai) : « la société traditionnelle de kl hangar ». 1987. Paris, Ebisu ; P : 25.

[4] – زناتي سلام محمود ،موجز النظام الاجتماعي والقانونية . المجتمعات البدائية والمدنية ، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، سنة 1977 ، ص68.

[5] – ابن بطوطة : " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" .القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى،سنة 1964.ج:2.ص:194.

[6] – خميد شيخ احد القبائل في أهقار .70سنة

[7]- عبد السلام بوشوارب، الهقار أمجاد وأنجاد، المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والاشهار، 1995، ص 65-66

[8]- بلغيث الحاج محمد، إيقاعات شعبية عادات وتقاليد فلكلورية في الجنوب الغربي، الجاحظية، الجزائر، 2003، ص 46

[9]- عبد السلام بوشوارب، الهقار أمجاد وأنجاد، ص 66

[10]- المرجع نفسه،ص :67.